2003-0411-0006a-E

كلمة وداد حلواني في الندوة حول قضية المخطوفين والمفقودين
١١/٤/٢٠٠٣ – مسرح المدينة
تجارب أهالي المخطوفين والمفقودين
من حواجز الحرب الى حواجز السلم

وانا بينكم اليوم، تعود بي الذاكرة الى صبحية السابع عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٢، استعيد مشهد ذلك الحشد من النسوة والشابات والأطفال. كنا مئات تلبسنا المأساة واراها ماثلة على الوجوه، في الأحاديث وأيضاً في النحيب.

سؤال واحد مدوٍ: أين أحباؤنا، لماذا سرقوا منا، أعيدوهم الينا!؟

أتى الجميع تلبية لدعوة وجّهتها، عبر إحدى الإذاعات المحلية، ولم أكن أعرفهم آنذاك، ولا يعرفون بعضهم البعض.

كنت آمل من خلال دعوتي التعرف الى ثلاث أو أربع نساء فجعن بخطف أزواجهن، مثلي، كي نطالب معاً المسؤولين باعادتهم الينا سالمين. لكن العدد فاق التوقّع.

بداية الطريق رسمت بمظاهرة عفوية اخترقنا بها حالة الطوارىء وسرنا باتجاه السراي الحكومي في الصنائع.

لم تسلم تظاهرتنا من قمع القوى الأمنية في محاولة لمنعنا من اكمال طريقنا. عدد منا لا يتجاوز العشرة، استطاع الوصول الى مقر رئاسة مجلس الورزاء وانتزاع مقابلة من دولته آنذاك. وكان السابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٨٢ تاريخ ميلاد لجنة الأهالي.

يصعب علي اختصار معاناة تجاوز عمرها ٢٢ عاماً في عشرة دقائق. مهما أطلت الوقت، أود التذكير أن عمليات الخطف بدأت قبل ميلاد اللجنة بأعوام وتحديداً منذ عام ١٩٧٥ بدايةَ الحرب في لبنان. وطال الخطف آلاف الأبرياء، لا لذنب اقترفوه بل بسبب انتمائهم الديني او المناطقي أو الفكري او بسبب جنسيتهم.

يتناول حديثي عن تجربتنا اليوم مرحلتين، مرحلة عيشنا الحرب ومرحلة عيشنا السلم.

أولاً: مرحة الحرب:

تجمّعنا كما سبق وذكرت، تعارفنا، تواصلنا، وحّدتنا المصيبة فتوحّدنا وتوحّد المطلب. مطلبنا واحد: الإفراج عن جميع المخطوفين والمفقودين. واجهنا آلة الحرب، تظاهرنا في شوارع العاصمة تحت نيران القذائف ورغم رصاص القنص وسيارات الموت المفجعة.

لم نأبه لحالة الطوارىء المعلنة ولا لمنع التجمّعات. تجاوزنا الخطوط الحمر المرسومة على معابر الانقسام بين شرقية وغربية.

20030411-00066-2

تلاقينا من المنطقتين على تلك المعابر عندما منعنا من اجتيازها. تحدّينا سياسة قوى الأمر الواقع التي خطفت أحباءنا، وكانت تعتبر كل آخر عدواً يجب إبادته، وكل تلاقٍ أمر مشبوه ينبغي اجتثاثه.

قاومنا عمليات الابتزاز التي مارسها تجار وسماسرة، استباحوا عواطف وأعصاب ومدخرات الأهالي لقاء وعد تحرير مخطوفيهم. ومنهم من استدان بعد أن خسر كل شيء ومنهم من دفع حياته ثمناً لهذا الابتزاز، ولم يعد حبيبه المخطوف.

ناضلنا من أجل منع استغلال الأهالي واستخدام قضيتهم لأهداف خاصة سياسية كانت أو طائفية. تصدينا للمصطادين في الماء العكر وما اكثرهم.

رفضنا النصائح الداعية للجوء الى الخطف المضاد من أجل التبادل لاستعادة مخطوفينا، ونجحنا.

قاطعنا كل دعوة تؤدي لزرع بذور الانقسام الطائفي او المذهبي بين الأهالي.

أقلقنا راحة الحكام، طالبناهم يومياً بالعمل من أجل الافراج عن احبائنا، توجّهنا الى الخاطفين، قياديي ميليشيات الأمر الواقع علّنا نوقظ فيهم بقايا مشاعر إنسانية إن وجدت أصلاً.

حصدنا، خلال هذه المرحلة من النفق المظلم الذي طال، جمّاً من الوعود الكاذبة. أكثر المسؤولين صراحة من الحكام قال لنا "العين بصيرة واليد قصيرة".

شكلوا لجانا وهمية بهدف تخديرنا وراهنوا على عامل الزمن علنا ننسى.

لم ننس، وجاء السلم.

مرحلة السلم:

هلّلنا وتفاءلنا: السلم سيعيد الينا من خطفته الحرب من احبائنا. هدفنا السلم. لم يعرّج صوبنا، لم يشملنا...

بعد توقف الأعمال العسكرية التي ترافقت مع اعلان رسمي بانتهاء الحرب وحلول السلام صدر قانون عفا عن المجرمين دون اي التفاتة الى الضحايا. وتحت شعار ترسيخ السلم الأهلي، كوفيء المعفى عن جرائمهم بموجب هذا القانون وعينوا في مراكز السلطة والقوار. ورفع شعار اعمار ما تهدّم. اقتصر الاعمار على الحجر.

بعد ما يزيد عن اثني عشر عاماً من السلم المعلن، لم يبدأ اعمار ما تهدّم من البشر، أو ربّما اعتبر الحكام ان مسؤولية ذلك تقع على عاتق دول اخرى غير دولتنا.

هكذا تعاطت معنا دولة السلم وحكوماتها المتعاقبة. حتى الآن، نحن بنظرهم لاننتمي الى هذا الوطن.

كتبوا لنا ان نكون ضحايا الحرب وضحايا السلم. رفعنا الصوت عالياً: "من حقنا ان نعرف مصير أحبائنا يا دولة". جوبهنا باللامبالاة. وجهت الينا التهم بمحاولة العودة بالمجتمع

الى زمن الحرب. قتلوا القتيل ولم يمشوا في جنازته حتى. من المضحك المبكي ان ننصح بطي صفحة الماضي والتطلّع نحو المستقبل. اي مستقبل لوطن تداس فيه كرامة مواطنيه، وتصادر منهم ابسط حقوقهم، حقهم بالمعرفة: أضعف الايمان.

كنا وحدنا في السلم كما كنا وحدنا في الحرب. مجتمعنا، :أحباؤنا الأحياء:، يلملم جراحه، حملنا قضيتنا، قضية بحجم الوطن، وحلها مسؤولية المجتمع بأسره.

بعد طول انتظار، نادينا الاصدقاء، اصداقاءنا، اصدقاء القضية، واطلقنا معا حملة شعبية أسميناها حملة "من حقنا أن نعرف". كان ذلك في ٢٩ تشرن الثاني من العام ١٩٩٩. وكانت ولادة جديدة، ولادة القضية في مجتمعنا.

حملنا مطالبنا القديمة، حقوقنا لا تتغير بمرور الزمن. بعد ثلاثة اشهر على اطلاق حملتنا، انتزعنا أول اعتراف رسمي بقضيتنا.

شكلت لحنة تحقيق رسمية للاستقصاء عن جميع المخطوفين والمفقودين على الأراضي اللبنانية وتحديد مصيرهم. كان ذلك في ٢١ كانون الثاني من العام ٢٠٠٠ (كان هذا وما يزال مطلبنا الأول والأساسي).

انجزت لجنة التحقيق الرسمية عملها بعد ستى أشهر موصية باعتبار كل من مضى على خطفه او فقدانه اربعة اعوام وما فوق بمثابة المتوفي.

في كانون الأول من العام ٢٠٠٠، وقبل ان يجفّ حبر تقرير اللجنة المذكورة، وقبل ان يستفيق الأهالي من هول الفجيعة، تمّ الإفراج عن ٥٤ شخصاً من السجون السورية. وكان في عدادهم شخصان على الأقل من بين الموعز باعلان وفاتهم في التقرير المشؤوم.

فقد التقرير مصداقيته واستمرينا في النضال.

بتاريخ الخامس من كانون الثاني عام ٢٠٠١، أعاد مجلس الوزراء تشكيل لجنة قديمة بحلة جديدة اسماها "هيئة تلقي شكاوى اهالي المفقودين". أو إذا شئتم هيئة جديدة بنفس المهمة القديمة.

استهلكت "هيئة تلقي الشكاوى" المدة التي حددت بقرار تشكيلها فجرى التمديد لها بقرار ثان وثالث انتهت المهلة المطعاة له بتاريخ ٧ حزيران من العام ٢٠٠٢.

ايها الاصدقاء.

نحن اليوم في ١١ من نيسان من العام ٢٠٠٣، لم تصدر الهيئة المذكورة تقريرها، لم ترفعه الى مجلس الوزراء. لم يطالبها المجلس العتيد بحساب على المهمة التي اوكلها اليها ولم يصدر عنه قرار جديد بتمديد مهلة عملها.

خلال لقائنا الوزير فؤاد السعد، رئيس هيئة تلقي الشكاوى، منذ يويمين، بمعية السيدة لورا بونابرت، ممثلة جمعية "أمهات ساحة ايار" الارجنتينية، اخذنا علماً بكل تحفظ عن بدعة

مفادها "بأن عدم التمديد لعمل الهيئة لا يعطل استمرارها من القيام بمهمتها" وفق لكلام السيد الوزير! "عش رجباً ترى عجباً".

لقاؤنا اليوم، للمطالبة بأن يكون ١٣ نيسان يوماً وطنياً للذاكرة وبأن يكون هناك نصب تذكاري يرمز الى جميع ضحايا الحرب ويكون ادانة ماثلة لجرائمها. وهذا مطلب آخر قديم جديد لنا.

يوم الأحد في ١٣ نيسان سنكون هناك في ساحة البرج، في ساحة الشهداء، الساعة السادسة مساء، نحتفل بهذا المطلب الذي حققناه بانتظار اعلانه رسمياً. سنكون كثيرين، ومن كل لبنان، وسننقل حملتنا بعدها الى كل لبنان.

اسمحوا لي ان انهي كلمتي بتحية اكبار واحترام الى هذه السيدة، لورا بونابرت، الثمانينية، التي قطعت آلاف الأميال كي تكون بيننا، تناضل معنا في حملتنا وتحتفل معنا.

اسمحوا لي بتوجيه تحية الى جميع أهالي المخطوفين والمفقودين، رفاق الدرب، اينما كانوا...

ان احيي امهات وزوجات واخوات حملن مأساتهن ومأساة الوطن على اكفهن منذ ما يناهز الربع قرن، بصبر ودأب وجرأة. انهن مثال المواطنية التي لا تعرف تمييزاً أو تصنيفاً بين أبناء الوطن.

تحية الى من غادر منا الى العالم الآخر قبل أن يعرف الحقيقة.

ويا اهلي أهالي المفقودين سنتابع المسيرة، سنحقق مطالبنا، ما مات حق وراءه مطالب...

يوم الفرج لابدّ آتٍ مهما طال الزمن.

لنبق معاً كما كنا دوماً ولنبنِ حواجز في وجه الطائفية والمناطقية، حواجز في وجه الظالم، نعبر من خلالها الى السلم والوطن.

نعبر نحن وأصدقاؤنا وكل المواطنين وكل الوطن الى وطن السلام.

صناعة السلم أصعب المهن وانتم صنّاعها.

عشتم وعاش لبنان.